مقدمة

تضاربت الآراء في اصل كلمة (ايتيكت) . . . فبعض الثقاة يقولون انها مشتقة من الكلمة اليونانية (stichos) ومعناها النظام والدرجات . بينما يقول آخرون انها مأخوذة من الكلمة الألمانية أو الكلمة التوتونية القديمة (stichen) ومعناها الأصلي الطابع أو البطاقة التي تلصق من الخارج على الطرد أو الوثيقة لتبين محتوياتها . وهناك فريق ثالث يصر على أن كلمة (ايتيكت) فرنسية الأصل ، ومهما يكن من أمر الكلمة وأصلها فانها تعني ـ في الحياة العصرية ـ ما اصطلحنا عليه من التصرفات الطيبة والصفات التي تميز الرجل المهذب .

والخلاف بين الفوضى وبين المجتمع المنظم ، هو أن الأخير انشأ لنفسه قواعد وأخلاقاً يطبقها افراده في نواحي حياتهم المختلفة سواء اكانت هذه الناحية اجتماعية أو عملية ، أو على المائدة ، أو عند اختيار الثياب . أو المراسلات . الخ . . . ولا يكون الشخص مهذباً الا اذا فهم واجباته الاجتماعية فهماً عميقاً ، واستطاع أن يطبقها في سهولة ويسر ولطف .

وليست الأخلاق الطيبة ضرورة لامفر من التحلي بها في المجتمع فحسب ـ لأن لها قيمة عملية لاتقدر في دنيا الأعمال ـ بل انها مفتاح النجاح لكل من يتوق الى الفوز في عمله . ولاشك أن كثيراً من عدم الفوز الذي يلاقيه بعض الناس في حياتهم العملية مرده إما الى جهل هؤلاء الناس بقواعد آداب السلوك وإما الى تجردهم من صفة احترام الآخرين أو إلى اهمالهم قواعد الاحترام الضرورية في الحياة المتمدينة . .

ومع ذلك فان آداب السلوك تنهض على اسس اعمق كثيراً من مجرد

الملاحظة الرسمية للعادات الاجتماعية . انها شيء متأصل الجذور فى طبيعة الشخص ، أو كما يقول جوتيه[1] « ليست هناك علامة ظاهرية للاحترام ألا وهى تستقر على أساس أدبي عميق »

وينبغي أن يكون الاحترام غريزياً فى المرء حتى يمكن أن نحكم عليه بأنه رجل مهذب . ولذا وجب أن نضع نصب اعيننا أن الاعراض الخارجية لهذه الغريزة تختلف من عقد الى آخر . شأنها فى ذلك شأن الكلمات التي نستعملها فى لغتنا اليومية . فان بعضها لايلبث أن يموت ويحل محله الفاظ أخرى أكثر قرباً الى القلوب . أو كالثياب يتغير معظمها كل موسم فما كان محبوباً منها بالأمس يصبح اليوم مذولا غير مستحب . كذلك القواعد الرسمية والاشارات الخارجية لآداب السلوك تتعرض كثيراً للتعديل والتبديل بمرور الوقت . إلا أن ذلك لايغير شيئاً من الحقيقة الثابتة وهى أن روح آداب السلوك تظل دائماً محتفظة بجوهرها ولكنها لاتغالى في تحفظها بل تدع للقواعد التي نضعها لتوجيه حياتنا الاجتماعية واختلاطنا بالآخرين فرصة تكييف نفسها تبعاً للاوضاع الجديدة . .

ولقد كان هذا هو السبب الأول الذي حمل الآنسة ليليان ايشلر على مراجعة مؤلفها القيم عن آداب السلوك وادخال التعديلات الضرورية التي يقتضيها تطور الحياة الاجتماعية عليه . ولقد نجحت فى ذلك ايما نجاح لأنها تسترشد بالعقل وحسن التقدير فى عملها . ولأنها تحرص على مسايرة روح العصر أكثر من حرصها على ارضاء صدى التقاليد البالية .

وكان نتيجة ذلك أن وفقت الى اخراج مؤلف متزن يتسم بطابع العصرية المقبول ، فضلا عن انه عملي بحت . .

---

(١) Johann Wolfrang Goethe جوتيه هو جوهان ولفرنج . . . كاتب اجتماعي ومسرحي المانى عظيم يضارع شكسبير عند الانجليز وراسين عند الفرنسيين ولد سنة ١٧٤٩ ومات سنة ١٨٣٢

وأكبر ظني أن الآنسة اشلر قد تعمقت كثيراً في موضوعات آداب السلوك، مع أنه لم يسبقها الى مثل هذا التعمق أحد في ذلك المضمار . فهي لم تتخذ من قواعد آداب السلوك الظاهرية أساساً لكتابها ، وانما كان تحليل كل حركة وسكون تؤديها في كل مناسبة رائدها في عملها . ولهذا كانت القواعد التي سجلتها أكثر تركيزاً وأعمق رسوخاً في ذاكرة القارئين ، فأنت حين تقرأ هذا الكتاب لن تتبع مافيه من قواعد على اعتبارانها قواعد مسلم بها ، بل انك تدرك (لماذا) وجب أن تتبع هذه القاعدة أو تلك . .

وثمت مسألة اخرى جديرة بالاهتمام وهي أن الآنسة اشلر أجادت في التعبير عن مختلف نواحي آداب السلوك في أسلوب ممتع جذاب يستهوي النفس ويستأثر بالاهتمام . ومن حسن الحظ أن الكاتبة واسعة الاطلاع ملمة تمام الالمام بالتطورات التي طرأت على الحياة الاجتماعية منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا . ومن ثم فان لهذا المؤلف قيمتين عظيمتين قيمة عملية وأخرى تاريخية

. . .

حين اعتزمت نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية كنت أهدف إلى تحقيق امرين جوهرين . أولهما : إقامة معاملاتنا وعلاقاتنا الأدبية والاجتماعية على أسس صحيحة بعد أن ظلت هذه العلاقات والمعاملات تسير على رسلها بغير قاعدة أو نظام ، وهو أمر لايتفق مطلقاً مع الشوط البعيد الذي قطعناه في مضمار الرقي والمدنية . وثانيها : انشاء تفاهم وثيق بيننا وبين العالمين الأوربي والأمريكي نظراً لأنه لم تعد هناك مندوحة من وجود هذا التفاهم الذي تستلزمه علاقات الشعوب بعضها ببعض ، وخصوصاً بعد أن أصبحنا أمة لها كيان سياسي واجتماعي معترف به في كل مكان

وقد أخترت هذا الكتاب بالذات لأنه أمريكي ولأن أمريكا عبارة عن